عبد الملك بن مروان متذوق للشعر وناقد

أ. د. محمد أحمد غالب العامري *

الملخص

هذا البحث يدرس حالة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مع الشعر والشعراء: يتتبع مواقفه من النص الشعري، وقصصه مع الشعراء، وطبيعة تفاعله معهما، وأثر استجاباته، وذلك في مباحث ثلاثة: **الأول**: قيمة الأدب عنده، ومنزلة الشعراء. وتبين لنا من خلال ذلك تقديره للأدب وللكلمة الجميلة، واهتمامه بفصاحة خطبه وجودة الإيصال ومراعاة المتلقين، وقد لحظنا عنه ذلك: تنظيراً، وممارسة، وتشجيعاً، وتقويماً. **الثاني**: المؤهلات النقدية عنده: ثمة أمور وخلال تحققت في عبد الملك على نحو جعلت له مع الشعر شأناً، وجعلت موقفه منه متميزاً، وبالتالي تجعل للتوقف في شأنه مع الشعر أحقية وخصوصية، من تلك المؤهلات النقدية: الخبرة الشعرية وسعة الاطلاع، أو ما يمكن أن يدعى بالحضور الشعري الملح. فقد كان متذوقا للشعر، واسع الاطلاع فيه، غزير الحفظ لنصوصه، خبيراً بتاريخ الشعر العربي وبيئاته، حسن المعرفة للمجودين من أعلامه. مما يعطي لعلاقة عبد الملك بالنص الشعري خصوصية: قوة استجابته للنص الشعري، وسرعة تفاعله معه. **الثالث**: الموجهات النقدية عنده: وقد رأينا أنها ارتكزت على: السياسة: فهو حاكم مؤسس لدولة، يعنيه توظيف كل الطاقات لخدمة دولته. والقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية. والذوق الفني الشخصي: هذا المعيار أو الموجه ألصق بالنقد، وهو فيه أوغل؛ لانتفاء الدوافع الخارجية، وغياب الجوانب النفعية (البرجماتية). وهو ينبئ بطبيعة علاقة صاحبه بالنص الشعري، ومستوى إدراكه النقدي. وكان المنهجان: الاستردادي، والوصفي التحليلي هما الأنسب مع طبيعة هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: عبد الملك بن مروان، التذوق، النقد، الشعر، الشعراء.

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة إقليم سبأ – مأرب ـ اليمن

Abdul Malik Ibn Marwan: A Connoisseur and Critic of Poetry

Prof Dr. Mohammed Ahmed Ghaleb Al Ameri*

Abstract

This paper examines the case of the Umayyad Caliph Abd Al-Malik bin Marwan with poetry and poets: it traces his attitudes towards the poetic text, his stories with poets, the nature of his interaction with them, and the impact of his responses. And reading that is an analytical descriptive reading in three sections. The first topic: the value of literature to him, and the status of poets. Through this, he showed us his appreciation for literature and the beautiful word, and his interest in the eloquence of his speeches, the quality of the delivery, and the consideration of the recipients, and we noticed that about him: theorizing, practicing, encouraging and correcting. The second topic: his critical qualifications: There are things that were achieved in Abd al-Malik in a way that made him an affair with poetry, and made his attitude towards it distinct, and thus made it to be discerned about him with poetry a right and a specificity, among those critical qualifications: Poetic experience and erudition, or what may be called urgent poetic presence. He was a connoisseur of poetry, knowledgeable about it, abundantly memorized his texts, was an expert on the history of Arabic poetry and its environments, and was well-known to those who were well known. This gives Abd al-Malik's relationship with the poetic text specificity: the strength of his response to the poetic text, and the speed of his interaction with it. The third topic: his critical guidelines: We have seen that they are based on: Politics: He is a founding ruler of a state, he is concerned with employing all energies to serve his country.

Religious, moral and social values.

Personal artistic taste: this criterion or directed is affixed to criticism, and in it it is more intense; for the absence of external motives, and the absence of the utilitarian aspects (pragmatism). It foretells the nature of the author's relationship with the poetic text, and the level of his critical perception.

There are two approaches followed in this study: the retrospective and the descriptive analytical were the most appropriate for the nature of this research.

Key words: Abd al-Malik bin Marawan, taste, criticism, poetry, poets.

*Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Saba Region, Mareb, Yemen.

المقدمة

زخر العصر الأموي بحراك أدبي – شعري ونثري– متميز، تفاعلت معه طبقات المجتمع جميعها باختلاف طوائفها ومستوياتها ووجهاتها: الخوارج والشيعة والجمهور، الرجال والنساء، العلية والسوقة، الفقهاء والوعاظ وغيرهم، على نحو لم يتكرر في عصر آخر. وكان لخلفاء بني أمية في ذلك نصيب أوفى وقدح معلى، وأبرزهم في ذلك الخليفة عبد الملك بن مروان، فله مع الشعر والشعراء شؤون وشجون، رأيت أن شأنه في ذلك يستحق وقفة متأنية ونظرة متمعنة.

دوافع هذه الدراسة: الإعجاب بشأن هذا الخليفة مع الشعر والشعراء. وإبراز شيء من شأن الشعر ومكانته عند الطبقات التي كانت تحكم العرب والمسلمين، وتلقي الضوء على مكانته عندهم، ومقدار حضوره في حياتهم، وتغلغله في نفوسهم، ممثلاً بأحد أبرز خلفاء المسلمين.

ويهدف البحث إلى:

- معرفة قيمة الأدب عند عبد الملك بن مروان، ومنزلة الشعراء لديه.
- تتبع المؤهلات النقدية التي تحققت في الخليفة عبد الملك بن مروان.
- استنباط المعايير النقدية التي كانت توجه الحكم النقدي عنده.

منهج البحث: المنهجان: الاسترادي التاريخي، والوصفي التحليلي، فهما الأنسب مع طبيعة البحث.

الدراسات السابقة: لا أعلم دراسة تناولت شأن عبد الملك بن مروان مع الشعر.

هيكلة البحث: سنعرض هذه الدراسة – بعد مقدمة ومدخل– في مباحث ثلاثة، هي:

المبحث الأول: قيمة الأدب عند عبد الملك بن مروان، ومنزلة الشعراء لديه.

المبحث الثاني: مؤهلاته النقدية.

المبحث الثالث: معاييره، أو الموجهات النقدية عنده.

مدخل: جاء في الأعلام: "عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي..، أبو الوليد (26 – 86 هـ): من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا. استعمله معاوية والياً على المدينة وهو ابن 16 سنة. انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جبارا على معانديه، قوي الهيبة. واجتمعت عليه كلمة المسلمين عام (73هـ) بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير"[1]، وهو العام الذي يعد فيه خليفة على وجه الدقة. "ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات"[2]، وفتحت السند وبعض الأمصار. وهو "أول من صك الدنانير في الاسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم"[3]. وكان يقال: "معاوية للحلم، وعبد الملك للحزم. توفي في دمشق سنة(86هـ)"[4]. وكان نقش خاتمه: "آمنت بالله مخلصا ". قال الشعبي: "ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه، إلا عبد الملك، فما ذاكرته حديثا ولا شعرا إلا زادني فيه"[5].

المبحث الأول

قيمة الأدب عند عبد الملك، ومنزلة الشعراء

يبين لنا هذا المبحث مستوى تقدير عبد الملك بن مروان للأدب وللكلمة الجميلة، واهتمامه بفصاحة خطبه، وعنايته بجودة الإيصال ومراعاة المتلقين، وسنلمس منه ذلك: تنظيراً، وممارسة، وتشجيعاً، وتقويماً، بطبيعة الحال على مناحٍ تناسب عصره، وتستقيم مع معطيات زمانه. فمن تنظيره الكلامي قوله: "ما الناس إلى شيء من الأدب أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتعاورون الكلام، ويتعاطون البيان، ويتهادون الحكمة، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرَّق منها، فإن الكلام قاضٍ يحكم بين الخصوم، وضياءٌ يجلو الظُّلم، وحاجة الناس إلى موادِّه حاجتهم الى مواد الأغذية "[6]. وقال: "اطلبوا معيشة لا يقدر سلطان جائر على غصبها، قيل: وما هي؟ قال: الأدب"[7]. وكان يقول: "اللحن هجنة على الشريف، والعجب آفة الرأي"[8]. ومن تشجيعه للشعراء، وحرصه على تدفق إنتاجهم وأداء رسالتهم موقفه من الحجاج حين رآه يحرم الشعراء أول مقدمه العراق، فكتب إليه عبد الملك: "أجز الشعراء[9] فإنهم يجتبون مكارم الأخلاق ويحرضون على البر والسخاء"[10]. فهو بهذا يعترف بفضل الشعراء، ويعطي للشعر قيمة، ويحدد له وظيفة، ويعترف للشعراء بحق مادي يخصهم دون غيرهم؛ لما يبدعون من فنون القول، وما يهدونه للناس من بديع المكارم، وما يرشدونهم إليه من مواطن الأخلاق بوسائل جمالية مرغبة في الخير، منفرة من الشر. ويأخذ منا العجب مأخذه حين نراه يتعاطى هذا الأمر، ويوليه أهميته في أحرج لحظة تمر على المرء في حياته، وهي لحظات الموت وفراق الدنيا، فها هو يقول لأولاده حين حضرته الوفاة: "أوصيكم بحسن جوار الشعراء، فإن للشعر مواسم لا تزداد على اختلاف الجديدين إلا جدة، وايم الله ما أود أني هجيت بمثل قول الأعشى[11]:

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساجٍ لا يوارى الدعامصا

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وإني ازددت إلى نعمتي أضعافها. ولوددت أني مدحت بقول زهير[12]:

أو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وأني زلت عن نعمتي كلها"[13]. وعلى نحو مماثل قال عبد الملك: "يا بني أُمية أَحسابكم أَنسابكم، لا تُعرِّضوها للهجاء، وإياكم وما سار به الشعر؛ فإن كلامهم باقٍ ما بقي الدّهر. والله ما يسرّني أني هجيتُ بمثل هذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس" [14]:

تبِيتُون في الْمَشْتَى مِلاَءً بُطونُكم ... وجَارَاتُكم غرْثى يَبِتْن خَمَائِصَا

ثم قال: وما على من مُدح بهذين البيتين أن لا يُمدح بغيرهما[15]، وهما[16]:

هنالك إن يُستَخْبلوا المالَ يُخْبِلوا وإن يُسْألوا يُعطُوا وإن يَيْسَرُوا يُغْلُوا

عَلَى مُكْثِريهم رزق مَنْ يَعْتَرِيهِمْ ... وَعندَ المُقِلّينَ السَّماحةُ والبَذْل

إنها قيمة عظيمة يعطيها عبد الملك للكلمة الشعرية تعدل ملكه وخلافته؛ فلا ضير إذاً أن يكون له مع الشعر والشعراء شأن، وأي شأن!!

– مرونته مع الشعراء

من تقدير عبد الملك بن مروان الشعراء تغاضيه عن سقطاتهم، وإقالته عثارهم، واحتماله منهم بعض زلاتهم، وقبوله ظاهر أعذارهم مع علمه منهم خلاف ما يظهرون؛ ذلك كله منه تقديراً للكلمة الشعرية واعتباراً لقيمتها وإعلاءً لشأنها. من ذلك ما يحكى أن عبد الملك – وكان أول خليفة ظهر منه شيء من البخل– "قال: أي الشعراء أفضل فقال له كثير بن هراسة –يعرض ببخل عبد الملك– أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول[17]:

إني أحرّضُ أهْلَ البُخْلِ كُلَّهم لو كان ينفَعُ أهلَ البخل تَحْرِيضي

ما قَلَّ مَالِيَ إلاَّ زادَني كرَماً ... حتى يكونَ برزقِ اللهِ تعويضي

والمالُ يرفعُ مَنْ لوْلاَ دَراهِمُه أمْسى يُقلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ

لن تُخرِجَ البيضُ عَفْواً من أكفهُم إلاّ عَلى وَجَعٍ منهم وتَمْرِيض

كأنَّها مِنْ جُلودِ الباخلين بها ... عند النوائب تُحْذَى بالمقاريض

فقال عبد الملك – وعرف ما أراد – الله أصدق من المقنع حيث يقول: **{والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا[18]}**. وكان عبد الملك يسمى رشح الحجارة لبخله[19]" فلم يعنف الشاعر ولم ينتقم منه لتعريضه به، وهجائه إياه بالبخل. ومن ذلك أنه أحضر إليه رجل يرى رأي الخوارج، فأمر بقتله وقال: ألست القائل:

ومنا سويدٌ والبطين وقعنبٌ ... ومنا أميرُ المؤمنين شبيب

فقال: يا أمير المؤمنين إنما قلت: (أميرَ) المؤمنين(بالنصب على النداء)، أردت بك يا أمير المؤمنين فحقن دمه"[20]، مكتفياً منه بهذا الاعتذار الظاهر، مع علمه وعلم الجميع أن الشاعر غير صادق في عذره. ولما كان زمان ابن الأشعث، وثورته الكبرى التي هزت الدولة الأموية، وكادت تعصف بحكمهم في العراق خرج عمران بن عصام مع ابن الأشعث على بني أمية، وحين قُتِلَ ابن الأشعث أُتي به إلى الحجاج فقتله، فبلغ ذلك عبد الملك فقال: قطع الله يدي الحجاج ولم قتله، ويله؟ ألا رعى له قوله فيه:

وبعثت من ولد الأغر معتب ... صقرا يلوذ حمامه بالعرفج

فإذا طبخت بناره أنضجتها ... وإذا طبخت بغيرها لم تنضج

وهو الهزبر إذا أراد فريسة...لم ينجها منه صياح مهجهج

أراد به الحجاج والخطاب لعبد الملك"[21]، فانظر كيف أن عبد الملك يلوم الحجاج ويعنفه على نكرانه مديح الشاعر له؟ ويرى أن ذلك جدير أن يغتفر زلة قائله مهما عظمت.

– وحتى في مجال الحدود الشرعية نرى عبد الملك يحاول تلمس مخرجا شرعياً لصرفها عن الشاعر، "قال عبد الملك لأُميّة بن عبد الله بن خالد[22]: ما لك ولابن حُرثان حيث يقول فيك؟:

إذا هَتَف العُصفُورُ طار فُؤادُهُ ... وليثٌ حَديدُ النَّاب عند الثّرائدِ

قال: يا أمير المؤمنين، وجَب عليه حدٌّ فأقمته. قال: فهلاّ درأته بالشُّبهات؟ قال: كان الأمر أظهر من ذلك، قال عبد الملك: أما والله لقد أوجعك، ولوددت أنك كنت سلمت منه. وما سرني أني هجيت بذلك، وأن لي مثل كل شيء أصبحت أملكه"[23]. وبالرغم من غيرة عبد الملك المشهورة، وعلى رغم حساسية ما يتعلق بالأعراض نجد عبد الملك يتلمس للشاعر مخرجاً ينقذه من المؤاخذة، من ذلك أنه لما "شاع شعر إبراهيم بن عبد الله النميري[24] متغزلاً بزينب أخت الحجاج بن يوسف، من ذلك قوله:

تَضَوّع مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة عَطِرات

فأصبح ما بين الهَمَاء فحزوة إلى الماء ماء الجِزْع ذي العُشَرات

له أَرَجٌ من مِجْمَر الهند ساطع ... تَطلعُ رَيّاه من الكَفِرات

تهدده الحجاج، فهرب منه إلى اليمن وأقام بعدن مدة، ثم قصد عبد الملك بن مروان مستجيرا به، فقال له عبد الملك أنشدني ما قلت في زينب، فأنشده فلما انتهى إلى قوله:

ولما رأتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُنَّ مِنَ أن يَلْقَيْنه حَذِراتِ

قال له عبد الملك وما كان ركبك يا نميري؟ قال أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القطران، وثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر، فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكا، ثم قال لقد عظمت أمرك وأمر ركبك، وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه"[25]. ومن مرونته مع الشعراء – اعتباراً لهم ولشعرهم– تغاضيه عما قد يحصل منهم في مجلسه مما لا ينبغي أمام الخليفة، ولذلك شواهد عديدة، منها:

* "أن كثيّراً، دخل على عبد الملك، وعنده الأخطل، فأنشده، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال: حجازي مجدع مقرور، دعني أصفحه لك يا أمير المؤمنين، فقال كثيّر: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الأخطل، فقال له كثيّر: فهلا صفحت الذي يقول[26]:

لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلبٍ ... فالزّنجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

والتغلبيُّ إذا تنحنحَ للقِرى ... حكَّ استَه وتمثَّل الأمثالا

فسكت الأخطل وما أجاب بحرف[27]".

* "ودخل عديّ بن الرِّقاع العامليُّ على عبد الملك وعنده رجلٌ من كلب يقول الشِّعر يقال له شبيل بن الحنبار، فقال شبيل: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا ابن الرِّقاع، قال: الرِّقاع الَّتي تكون في السِّقاء؟ قال: لا، هذا العامليُّ، قال: الَّذي يقول الله عزّ وجلّ فيه: {عاملةٌ ناصبةٌ تصلَى ناراً حاميةً} فضحك عبد الملك، ثمَّ قال لابن الرِّقاع: أنشدْني فأنشده شعراً شبَّه نفسه فيه بالحيَّة[28]:

نشَا مُستسرّاً بينَ هضبٍ هشيمةٍ ... وبينَ حَبارٍ عُدْمُليٍّ تهدَّما

إذا اكتحلتْ عينُ البصيرِ برأيِه ... بدَاه بذعرٍ قبل أن يتهضَّما

أسلّ سماويٌّ كأنَّ لسانَه ... أُسِفَّ سواديّاً من الكُحل أسحما

إذا خافَ خوفاً أضمرتْه بلادُهُ كما يُضْمر الصَّدرُ الحديثَ المُكتَّما

فاعترض عليه شبيل فقطع شعره فقال:

لك الويلُ هلاَّ كنتَ شبلاً لأجْفَر ... تشبَّهتَ أو ليثاً بخفَّانَ ضَيغما

فشبَّهتَ ما لا يرفع الدَّهرَ بطنَه ... عن الأرضِ إلاَّ ما حبَا وتقحَّما

فقال ابن الرِّقاع:

وفي النَّاس أشباه كثير ولم أكنْ ... لأُشبِه شرّاً من شبيل وألأما

تشبَّهتُ ما لو عضَّ شبلَ بن حنبر ... لظلَّ شبيل يسلَح الماء والدَّما

فانقطع شبيل وغلبه ابن الرِّقاع[29]".

المبحث الثاني

المؤهلات النقدية عند عبد الملك بن مروان

ثمة أمور وخلال تحققت في عبد الملك بن مروان على نحو أكثر من غيره جعلت له مع الشعر شأناً، وجعلت موقفه منه متميزاً، وبالتالي تجعل للتوقف في شأنه مع الشعر أحقية وخصوصية، من تلك المؤهلات النقدية:

1. الخبرة الشعرية وسعة الاطلاع / الحضور الشعري الملح

كان عبد الملك متذوقا للشعر، واسع الاطلاع فيه، غزير الحفظ لنصوصه، خبيراً بتاريخ الشعر العربي، حسن المعرفة للمجودين من أعلامه. وينسب إليه أنه قال:" إذا أردتُم الشعر الجيّد فعليكم بالزُّرق من بني قيس بن ثَعلبة، وهم رهط أعشى بَكْر، وبأصحاب النِّخل من يَثرب، يريد الأوس والخَزْرج، وأصحاب الشَّعف من هُذيل"[30]. وقال لمؤدب أولاده: "أدبهم برواية أشعار الأعشى، فإن لها عذوبة تدلهم على محاسن الأخلاق، قاتله الله ما أغزر بحره وأصلب صخره"[31]. هل أدل على مقدار اطلاع عبد الملك بالشعر واهتمام به مما أورده ياقوت في قوله: "كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: انظر لي رجلًا عالمًا بالحلال والحرام، عارفًا بأشعار العرب وأخبارهم، أستأنس به وأصيب عنده معرفة، فوجهه إليَّ من قبلك. فوجه إليه الشعبي، وكان أجمع أهل زمانه، قال الشعبي: فلم ألق واليًا ولا سوقةً إلا وهو يحتاج إلي ولا أحتاج إليه ما خلا عبد الملك، ما أنشدته شعرًا ولا حدثته حديثًا إلا وهو يزيدني فيه، وكنت ربما حدثته وفي يده اللقمة فأَمسَكَها، فأقول: يا أمير المؤمنين أسغ طعامك، فإن الحديث من ورائه، فيقول: ما تحدثني به أوقع بقلبي من كل لذة، وأحلى من كل فائدة"[32].

وسنقف مع نماذج متفرقة تدل على: بعض ما أشرنا إليه من سعة اطلاع عبد الملك على الشعر، ومقدار الحضور الشعري الملح في حياته. وبعد التتبع والتقصي وجدنا أنه يسيطر على شأنه في ذلك حالتان:

الأولى: يقف فيها عبد الملك مقام السائل المختبر لمن أمامه.

الثانية: أن تطرأ عليه قضية أو أمر يثير أو يلامس نصاً شعريا في مخزونه، أو يرى أنه يحتاج أن يتمثل له بشاهد شعري.

فمما وورد من الحالة الأولى"

* جاء في الأغاني: "نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس، فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره، فقال له أعراقي أنت؟ قال نعم، قال أنت جاسوس، قال لا، قال بلى، قال ويحك دعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به، ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل[33]:

إذا الأَرْطَى توسَّد أبْرَدَيْهِ ... خدودُ جَوازِئٍ بالرَّمْل عِينِ[34]

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزناه، والخادم يسمع، فقال العراقي للخادم أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله؟ قال نعم، قال يقوله عدي ابن زيد في صفة البطيخ الرمسي، فقال ذلك الخادم فضحك عبد الملك حتى سقط، فقال له الخادم أخطأت أم أصبت؟ فقال بل أخطأت، فقال يا أمير المؤمنين هذا العراقي فعل الله به وفعل لقنيه، فقال أي الرجال هو؟ فأراه إياه، فعاد إليه عبد الملك وقال: أنت لقنته هذا؟ قال نعم، قال أفخطأ لقنته أم صوابا؟ قال بل خطأ، قال ولم؟ قال لأني كنت متحرما بمائدتك فقال لي كيت وكيت فأردت أن أكفه عني وأضحكك، قال فكيف الصواب؟ قال يقوله الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جزأت بالرطب عن الماء، قال صدقت وأجازه، ثم قال له حاجتك؟ قال تنحي هذا عن بابك فإنه يشينه"[35].

* "وقال عبد الملك يوما لجلسائه: أي المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض، وقال آخرون مناديل اليمن كأنها نور الربيع. فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد (عبدة بن الطبيب) حين قال[36]:

لمّا وردنا رفعنا ظلّ أرديةٍ ... وفارَ باللحم لِلقوم المراجيلُ

وَرْدٌ وأشقرُ ما ينهئه طابخُهُ ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكول

ثُمّتَ قمنا إلى جُرْد مُسوَّمةٍ أعرافُهنّ لأيدينا مناديل"[37]

* "ودخل وفد بني أسد على عبد الملك بن مروان، فقال لهم: من شاعركم يا بني أسد؟ قالوا إن فينا لشعراء ما يرضى قومهم أن يفضلوا عليهم أحدا. قال لهم فما فعل الأقيشر؟ قالوا مات. قال لم يمت ولكنه مشتغل بعشقه، وما أبعد أن يكون شاعركم إلا أنه يضيع نفسه، أليس هو القائل[38]:

يأيُّها السائل عَمّا مَضَى ... مِنْ عِلْمِ هذا الزَّمن الذاهبِ

إن كنتَ تَبْغِي العلمَ أوْ أهلَه...أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائبِ

فاعتبرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ"[39]

* "وقال عبد الملك لولده وأهله: أي بيت ضربته العرب على عصابة ووصفته أشرف حِواء وأهلا وبناء؟ فقالوا فأكثروا، وتكلم من حضر فأطالوا، فقال عبد الملك: أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقوله فيه[40]:

وبيتٍ تَهبُّ الرِّيحُ في حَجَراته ... بأرضٍ فضاءٍ بابهُ لم يحجَّب

سَمَاوتُه أسمالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ ... وصَهْوَتُهُ مِنْ أَثْحَمِيٍّ مُعَصَّبِ

وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها ... صُدورُ القَنا من بادئٍ ومُعَقِّبِ

نصبت على قومٍ تُدِرّ رماحُهُمْ عروقَ الأعادِي من غَرِيرٍ وأشْيَبِ"[41]

– ومما اختلطت فيه هذه الصورة أو الحالة مع الحالة الثانية: "قال عمر بن المنتشر المرادي: وفدنا على عبد الملك فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر من أمر ما وحلف عليه، فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر، ثم أقبل على أهل الشام فقال أيكم يروي من اعتذار النابغة إلى النعمان[42]:

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهُب؟

فلم يجد فيهم من يرويه، فأقبل علي، فقال أترويه؟ قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها، فقال: هذا أشعر العرب"[43].

لاحظ مقدار الحضور الشعري، وسعة الاطلاع عند عبد الملك، ففي هذا الموقف بمجرد أن اعتذر الرجل حالفاً ذكر قصة النابغة وقصيدته، وتوجه إلى جلسائه بالسؤال عمن يحفظ القصيدة التي استبدت بإحساسه الفني، فخلع على صاحبها وصف أشعر العرب. ومما جاء على الحالة الثانية، وهي حالة التمثل والاستشهاد:

* "أن عبد الملك بن مروان كان يوجه إلى مصعب ابن الزبير جيشا بعد جيش فيهزمون، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه أمر الناس فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه، فلما أراد الركوب قامت إليه أم يزيد ابنه وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية فقالت: يا أمير المؤمنين لو أقمت وبعثت إليه لكان الرأي، فقال: ما إلى ذلك من سبيل، فلم تزل تمشي معه وتكلمه حتى قرب من الباب، فلما يئست منه رجعت فبكت وبكى حشمها معها، فلما علا الصوت رجع إليها عبد الملك فقال: وأنت أيضا ممن يبكي، قاتل الله كثيرا كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول[44]:

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه ** حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه ** بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها بالسكوت وخرج"[45].

* وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية وكان ضعيفا يتمثل بقول المغيرة بن حبناء لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكِنّ ... تفاضَلَتِ الطّبائعُ والظُّروفُ

وأمُّكَ حين تُنْسَب أمُّ صدْقٍ ... ولكنْ حلها طَبَعٌ سخيفُ[46]

* "واستبطأ عبد الملك بن مروان من ابنه مسلمة في مسيره إلى الروم، فكتب إليه متمثلاً بقول أعشى همدان[47]:

لمن الظعائن سيرهن تَرَجُّفُ ... سير السفين اذا تقاعس مِجْذَفُ

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب إليه مستشهدا بقول حجر بن أوس[48]:

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم"[49]

* ودخلت عزة على عبد الملك بن مروان، فقال لها: "أنت عزة كثير؟ فقالت: أنا أم بكر الضمرية. فقال لها أتروين قول كثير[50]:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ** ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي ** عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت: لا أروي هذا، ولكني أروي قوله[51]:

كأني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوح فما تلقاك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت" [52]

* وكان عبد الملك يتمثل في بذل النفس عند اللقاء ويعجب بقول شبيب[53]:

دعانِي حِصنٌ للفِرار فساءني ... مواطِنُ أن يُثْنَى عليّ فأُشْتَما

فقلت لحِصنٍ نَح نفسَك إنما يذُود الفتى عن حوضه أَن يُهَدَّما

تأخّرتُ أَستبقي الحياةَ فلم أجِد ... لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدّما

سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيعَ نادَى بالجواد وبالحِمَى

إذا المرءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أوشَكَتْ حِبَالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَجَذَّما

– وبلغ من سعة اطلاعه وتضلعه بأشعار العرب أن يتخيل أن الناس يستوعبون ما قاله الشعراء، وأنهم يستحضرون ذلك بمجرد الإلماح إليه. كما أنه من اهتمامه بالشعر رغب أن يدفع مخاطبيه إلى استيعاب ما قاله شعراء العربية، موظفاً مكانته في ذلك، لاسيما وهو الخليفة، والناس إلى مرضاته تسعى، وعلى تقليده تحرص. من ذلك أنه كتب إلى واليه الأثير الذي مهد له البلاد الحجاج بن يوسف قائلاً له: "أنت عندي كسالم والسلام، فلم يدر الحجاج ما هو، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله، فكتب إليه إن الشاعر يقول:

يديرونني عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم"[54]

ومعناه أنت عندي بمنزلة رفيعة، ولا أقبل فيك قول منتقص، ولا رأي مبغض. وكتب عبد الْملك إلى الحجاج أيضاً بعدما هزم ابْن الْأَشْعَث: "أما بعد فَمَا لَك عندي مثلٌ إِلَّا قدح ابْن مقبل[55]" مثنياً عليه بالكفاءة والإغناء، فلم يدر الحجاج ما هو، فكتب إلى قتيبة يسأله عن خبر قدح ابْن مقبل، فكتب إليه قُتَيْبَة: إِنَه قدح فَازَ تسعين مرّة لم يخب فِيهَا مرّة وَاحِدَة، فَقَالَ ابْن مقبل فِيهِ مادحاً[56]:

غدا وهو مجدول وراح كأنه ... من المش والتقليب بالكف أفطح

خَرُوجٌ من الغُمَّى إذا صُكَّ صكة ... بدا والعيون المستكفة تلمح

مفدى مؤدى باليدين منعمٌ ... خليع قداحٍ فائزٌ متمنح

إذا امتحنته من معدٍ قبيلةٌ ... غَدا ربه قبل المفيضين يقْدَح

أَي قد وثق بفوزه فَهُوَ يقْدَح النَّار لعمل اللَّحْم. وكتب الحجاج إلى عبد الملك يعظم أمر قطري بن الفجاءة أحد قادة الخوارج الأشداء، فكتب إليه عبد الملك: "أوصيك بما أوصى به البكري زيدا، فقال الحجاج لحاجبه: ناد في الناس من أخبر الأمير بما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم، فقال رجل للحاجب: أنا أخبره، فأدخله عليه، فقال له الحجاج: ما قال البكري لزيد؟ قال: قال لابن عمه زيد والشعر لموسى بن جابر الحنفي:

أقول لزيد لا تُتَرْتِرْ فإنهم ** يرون المنايا دون قتلك أو قتلي[57]

فإن وضعوا حربا فضعها وإن أبوا فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

وإن عضت الحرب الضروس بنابها فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلي

فقال الحجاج: صدق أمير المؤمنين عرضة نار الحرب مثله أو مثلي"[58].

فكم شهد تاريخ السياسية العربية، وتاريخ أعيان العرب مثل هذا التوظيف الدقيق، والشغف الشاغل، والاستبطان والاستظهار الشعري؟ وكم هو حجم زعماء العرب اليوم وأعيانهم ووزنهم قياساً بهذا المستوى من الذوق والإدراك والاستيعاب والتفاعل والاستلهام؟

2. قوة الاستجابة للنص الشعري

مما يعطي لعلاقة عبد الملك بن مروان بالنص الشعري خصوصية: قوة استجابته، وسرعة تفاعله معه. وقد تكون هذه الاستجابة وذلك التفاعل والأثر – باعتبار المتلقي – إيجابيا وقد يكون سلبياً، أخذاً بالاعتبار أن كثيراً مما يُلقى عليه من الشعر مديحاً تكسباً، يأمل المتلقي من ورائه تحقيق نفع ما.

* من ذلك أنه "أنشد عبيد بن حصين الراعي عبد الملك قوله[59]:

فإنْ رفعتَ بهم رأساً نَعشتَهمُ ... وإن لَقوا مثلَها من قابلٍ فسدُوا

قال له عبد الملك فتريد ماذا؟ قال: ترد عليهم صدقاتهم، وتدر أعطياتهم، وتنعش فقيرهم، وتخفف مؤونة غنيهم. قال عبد الملك: إن ذاك لكثير! قال: أنت أكثر منه، قال: قد فعلت، فسلني حوائجك، قال: قد قضيتها، قال: سل لنفسك، قال: لا والله لا أشوب هذه المكرمة بالمسألة لنفسي"[60].

فانظر مقدار الاستجابة الكبرى بإعادة زكاة قوم بأكملهم، ويغزر عطاءهم، وينعش فقيرهم، ويخفف مؤونة غنيهم، كل ذلك تفاعلاً مع قول شعري.

* و"كان بأرض الحجاز رجلٌ له ابنةٌ هويها ابن عمٍ لها، فبذل لها أربعة آلاف درهمٍ، فأبى أبوها أن يزوّجها منه، وأجدبت البادية، فدخل ابن عمّها على عمّه ذات يومٍ فشكا إليه ما يلقى. فقال له: قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهمٍ، فأعطنا إيّاها، فأنت أحبّ إلينا لقرابتك. قال له: أجّلني شهراً. فأجّله، ولم يكن بقي مع الفتى إلاّ ناقةً، فركبها ومضى إلى عبد الملك، فطلب الإذن فلم يؤذن له. فقال: إنّي رسول فلانٍ عامل أمير المؤمنين على الحجاز. فأدخل عليه من ساعته. قال: معك كتابٌ من فلان؟ قال: لا، قال فرسالةٌ؟ فأنشأ يقول:

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن ... أدلى إليك بلا قربى ولا سبب ؟

مدلّهٌ عقله من حبّ جاريةٍ ... موصوفةٍ بكمال الحسن والأدب

خطبتها إذ رأيت النّاس قد لهجوا...بذكرها والهوى يدعو إلى العطب

فقلت لي حسبٌ زاكٍ ولي شرفٌ قالوا:الدّراهم خيرٌ من ذوي الحسب

إنّا نريد ألوفاً منك أربعةً ... ولست أملك غير الحلسّ والقتب

لو كنت أملك مالاً أو أحيط به ... أعطيتهم ألف قنطار من الذهب

فامنن عليّ أمير المؤمنين بها...واجمع بها شمل هذا البائس العزب

فما وراءك، بعد الله، مطّلبٌ، ... أنت الرّجاء وأقصى غاية الطّلب

فضحك عبد الملك وأمر له بأربعة آلاف درهمٍ، وقال هذا صداق أهلك، وزاده أربعةً أخرى وقال له أولِم بهذه، وأنفق عليها منها. فقبضها ومضى. فتزوّج بالجّارية"[61].

* ويقال "دخل عليه الشاعر الضني فأنشده قوله:

والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلبٌ إليك من الذي نتطلّب

فاصبر لعادتك التي عودّتنا أو لا فأرشدنا إلى من نذهب

فقال عبد الملك: إلي إلي! وأمر له بألف دينار؛ ثم أتاه في العام المقبل فقال:

يربّ الذي يأتي من الخير إنّه إذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبانٍ حين تمّ بناؤه ... تتبّعه بالنقض حتى تهدّما

فأعطاه ألفي دينار؛ ثم أتاه في العام الثالث فقال:

إذا استُمطِرُوا كانوا مغازير في الندى ... يجودون بالمعروف عوداً على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار"[62]. ما سبق كان استجابة وتأثراً في المجال المادي، تمكن الشاعر من خلال نصه الشعري من استمالة عبد الملك واستدرار عطائه الغزير، على الرغم مما قيل عن بخله. وثمة استجابة نفسية وتأثر غير مادي ينال من نفسية عبد الملك، فتتفلت من حالتها إلى أخرى مغايرة، من ذلك:

* "قال أبو عامر الشعبي: دخلت على عبد الملك في علته التي مات فيها، فقلت كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت كما قال عمرو بن قميئة[63]:

كأنّي وقد جاوزتُ تِسْعينَ حِجَّةً ... خَلَعْتُ بها يوما عذار لِجام

رمَتْنِي بناتُ الدَّهر من حَيْثُ لا أرَى فكيف بمن يُرْمَى وليس بِرامِ

فلو أنَّها نَبْلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ... ولكنَّني أُرمَى بغَيرِ سِهامِ

وأهلكَنِي تأمِيلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

فقلت لست كذلك يا أمير المؤمنين، ولكنك كما قال لبيد[64]:

قامَتْ تَشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُك سَبْعاً بعد سَبْعِينا

فإن تُزادِي ثَلاثاً تَبْلُغي أمَلاً ... وفي الثّلاثِ وَفاءٌ للثمانِينا

فعاش حتى بلغ التسعين فقال[65]:

كأني وقد خلفت تِسْعين حِجَّةً ... خلعتُ بها عن مَنْكِبيَّ رِدائيا

فعاش حتى بلغ عشرا ومائة سنة فقال[66]:

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رَجُلٌ ... وفي تكامل عَشْرٍ بعدها عِبَرُ

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة فقال[67]:

وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مجرَى داحِسٍ ... لو كان للنّفس اللجُوجِ خلُودُ

ويروى دهرا قبل مجرى داحس، فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة فقال[68]:

ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها ... وسُؤالِ هذا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ

فتبسم عبد الملك، وقال: لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر، وإني لأجد خفا وما بي من بأس، وأمر لي بصلة، وقال لي: اجلس يا شعبي فحدثني ما بينك وبين الليل، فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده، فما أصبحت حتى سمعت الناعية في داره"[69].

فانظر مقدار الأثر السلبي في بداية الأمر، وسيطرة الصورة القاتمة على عبد الملك في أبيات عمرو بن قميئة، وتأمل مقدار التحول الإيجابي النفسي الكبير بعد سماعه أبيات لبيد، ومع هذه الاستجابة القوية تأمل أيضاً قوة الحضور الشعري في حياة عبد الملك، وفي أحلك اللحظات. وثمة استجابة سلبية وهي التي تُخْلِف وتخالف رجاء الملقي، وهي ناتجة عن إخفاق الملقي في عرض نصه الشعري، أو تَخَلُّف عامل من عوامل القبول والتأثير، من ذلك أنه لما أنشد الراعي عبد الملك قصيدته التي شكى فيها السُّعاة، فبلغ قوله[70]:

وتركتُ قومي يقسمون أُمورهم ... أَإليك أَم يتلبثون قليلاً؟

قال عبد الملك: يتلبثون قليلا، رحمك الله! وكأنه خيب ظنه عقاباً له؛ بسبب سوء تعبيره، وشكه في كرم الخليفة.

ولما "أنشد جرير عبد الملك بن مروان قوله [71]:

تشكت أم حزرة ثم قالت ... رأيت الموردين ذوي لقاح

تعلل وهي ساغبة بنيها ... بأنفاس من الشبم القراح

قال له عبد الملك: لا أروى الله عيمتها"[72]. ودخل أرطاة بن سهية على عبد الملك، فقال له كيف حالك يا أرطاة؟ وقد كان أسن وبلغ فيما قيل مائة وثلاثين سنة، فقال: "ضعفت أوصالي وضاع مالي، وقل مني ما كنت أحب كثرته وكثر مني ما كنت أحب قلته، قال فكيف أنت في شعرك؟ فقال والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، على أني القائل[73]:

رأيتُ المرءَ تأكُلُه اللَّيالي .. كآكِلِ الأرضِ سَاقِطَةَ الحديدِ

وما تَبْغي المَنِيَّةُ حينَ تأتي على نَفْسِ ابن آدمَ من مَزِيدِ

وأعْلمُ أنها ستَكُرُّ حتَّى ... تُوَفِّي نَذْرَها بأبي الوَلِيدِ

فارتاع عبد الملك، ثم قال: بل توفي نذرها بك، ويلك مالي ولك؟! ذلك أنه ظنه يعنيه. فقال لا ترع يا أمير المؤمنين فإنما عنيت نفسي، وكان أرطاة يكنى أبا الوليد مثل عبد الملك، فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكيا، وقال: أما والله على ذلك لتلمن بي"[74].

المبحث الثالث: الموجهات النقدية عند عبد الملك بن مروان

تتعدد القراءات وتتنوع الاستجابات للنص الأدبي بتعدد المتلقين، بل تتعدد عند المتلقي الواحد بتغير الأحوال وتنوع المؤثرات. وكلٌ يأخذ من النص ما: يلامس همه، ويحكي حاله، ويناغي أحاسيسه. وعند تتبعنا للاستجابات والأحكام التي صدرت عن عبد الملك إزاء النصوص الشعرية التي تلقاها، سواء كانت استحسانا وإشادة، أو استياء، أو غير ذلك، وجدنا أن الموجهات أو المعايير التي كان يصدر عنها في أحكامه، وتتولد عنها استجاباته ترتكز في أمور رئيسة ثلاث، هي: 1.الموجهات السياسة. 2. المعيار القيمي: (الديني والأخلاقي والعرفي). 3. الذوق الخاص.

1.السياسة موجه نقدي

كل أو جل ما موصلنا من أحوال عبد الملك مع الشعر والشعراء كان حال خلافته التي استقرت بين(73–86هـ)، وللخلافة مقتضياتها، ولها توظيفاتها الخاصة للأشياء، وكثيرة هي الأشياء التي يسيسها الحكام ويجيرونها لصالحهم.

ومن دوافع تسييس الأدب: تضخيم شخصية الحاكم وخلع هالة من القداسة والمواهب الخارقة عليه، وإضفاء الشرعية إزاء المنازعين والطامعين، وهم كثيرون في العصر الأموي، كذلك كسب ود الجمهور الذين يعجبهم تأدب الخليفة، وتستهويهم الكلمة الجميلة المقنعة.

فمن الشعر الذي أشاد به عبد الملك لأنه يرى فيه دعماً له وتأييداً "قول أعشى ربيعة:

وَمَا أَنا فِي أَمْرِي وَلَا فِي خصومتي بمهتضمٍ حَقي وَلَا قارعٍ سني

وَلَا مُسلم مولَايَ عِنْد جنايةٍ ... وَلَا خَائِف مولَايَ من شَرّ مَا أجني

وَإِن فؤاداً بَين جَنْبي عالمٌ ... بِمَا أَبْصرت عَيْني وَمَا سَمِعت أُذُني

وفضلني بالشعر واللب أنني ... أَقُول على علمٍ وَأعرف من أكني

وأصبحت إِذْ فضلت مَرْوَان وَابْنه على النَّاس قد فضلت خير أبٍ وَابْن

فسطر عبد الملك استحسانه وإشادته قائلاً: من يلومني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الإبل وأقطعه ألف جريب"[75].

وفي مجال تخير الولاة الذين يوليهم على الرعية: يقرع أذني عبد الملك "قول الشاعر:

(لا يغمز الساق)من أَيْنٍ ولا كسلٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتفر[76]

قال المدائني لما أتى عبد الملك على إنشاد هذه الكلمة –لا يغمز الساق– قال ما كان أحوجني إلى راع مثل هذا"[77]. ويغدو الشعر رسائل حرب وتهديد يستخدمها الساسة ضد خصومهم: "كتب عبد الملك إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعده فيه، وكتب فيه [78]:

إني لَعِندَ الحرب تحمل شِكَّتي ... إلى الرَّوْع جَرْداء السَّيَالة ضامرُ

والشعر للعباس بن مرداس. فقال ابن الزبير أبالشعر يقوى علي؟ والله لا أجيبه إلا بشعر هذا الرجل فكتب إليه[79]:

إذا فُرِس العَوالي لم يخالجْ ... هُمومي غير نصرٍ واقترابِ

فإنّي والسَّوابح يومَ جُمْعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتاب

هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قِسِيٍّ ... وحكّت بَرْكَها ببني رِئاب

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطب الناس بالنخيلة، فقال في خطبته: أيها الناس دعوا الأهواء المضلة والآراء المتشتتة، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها، فقد جاريتمونا إلى السيف فرأيتم كيف صنع الله بكم، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة، فإني لا أزداد بعدها إلا عقوبة، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت[80]:

من يَصْلَ نارِي بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ ... يصلَ بنارٍ كريمٍ غيْر غَدَّارِ

أنا النذيرُ لكم مِنّي مُجاهرة ...كي لا أُلامَ على نَهيٍ وإنذار

فإنْ عصيْتم مقالي اليومَ فاعترفوا أنْ سوف تلقون خِزياً ظاهِرَ العارِ

لَتَرْجِعُنَّ أحاديثاً ملعَّنَة ... لهو المقيم ولهو المُدْلج السَّارِي

وصاحب الوِتْر ليس الدهرَ مُدْرِكَه ..عندي وإني لطلاَّبٌ لأوْتارِ

أُقِيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوجٍ ... كما يقوّمُ قِدح النَّبْعَةِ البارِي

ولما قدم عبد الملك حاجا سنة خمس وسبعين، وذلك بعدما اجتمع الناس عليه بعامين "جلس على المنبر، فشتم أهل المدينة ووبخهم لموقفهم المتكرر ضد بني أمية ووقوفهم مع ابن الزبير، ثم قال: إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير، وما وجدت لكم مثلا إلا ما قال مخشكم وأخوكم الأحوص[81]:

فكَمْ نزلتْ بي من أمور مُهمةٍ ... خذلتُم عليها ثم لم أتَخَشَّع

فأَدْبَرَ عنّي كربها لم أُبَالِه ... ولم أَدْعُكُمْ في كَرْبِها المُتَطلّعِ

فقام إليه نوفل بن مساحق فقال: يا أمير المؤمنين أقررنا بالذنب وطلبنا المعذرة، فعد بحلمك فذلك ما يشبهنا منك ويشبهك منا، فقد قال من ذكرت من بعد بيتيه الأولين:

وإنّي لَمُسْتأنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم ... وإنْ لم تقولوا في المُلَمَّاتِ دَعْ دعِ

أُؤَمِّلُ فيكم أنْ تَرَوْا خيرَ رأيكم ... وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ"[82]

وللشعر أثره في سل سخائم النفوس وإبراد حزازاتها في ميدان الصراع السياسي، كما رأينا في النموذج السابق، ومن ذلك أيضاً أنه "دخل الشاعر إسماعيل بن يسار على عبد الملك لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير، فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن في الإنشاد، فقال له عبد الملك: الآن يا بن يسار؟! إنما أنت امرؤ زبيري، فبأي لسان تنشد؟! فقال له يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأنا من ذلك، وقد صفحت عن أعظم جرما وأكثر غناء لأعدائك مني، وإنما أنا شاعر مضحك، فتبسم عبد الملك، وأومأ إليه الوليد ابنه بأن ينشد، فابتدأ فأنشد قوله[83]:

أَلاَ يا لَقَوْمي لِلرُّقَاد المُسَهَّدِ وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِي

ولِلحال بعد الحال يركبها الفتى ... ولِلحُبِّ بعد السَّلْوَة المُتَمَرِّد

وللمرء يُلْحَى في التصابي وقبلَه صبا بالغواني كُلُّ قَرْمٍ مُمَجَّدِ

حتى انتهى إلى قوله

إليكَ إمامَ النّاس من بطن يَثْرِبٍ ونِعْمَ أخو ذي الحاجة المُتَعَمِّدِ

رَحَلْنا لأنّ الجودَ منك خليقةٌ ... وأنَّك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتَدِي

ملكتَ فزِدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُمُ إمامٌ من المعروف غيرِ المُصَرَّد

وقُمْتَ فلم تنقُص قضاءَ خليفةٍ ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي

ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونه ... وأسندتَه لا تأتلي خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هِشَاماً والوليد ذخيرةً ... ولِيَّين للعهد الوثيق المؤَكَّدِ

فنظر عبد الملك إلى ابنيه: الوليد وهشام متبسما، والتفت إلى سلميان فقال أخرجك إسماعيل من هذا الأمر، فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مغضب، فقال إسماعيل يا أمير المؤمنين إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول وقد قلت بعده:

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ... ومَنْ يعتصمْ بالله مثلك يَرْشُدِ

فأمر له بألفي درهم صلة وزاد في عطائه وفرض له، وقال لولده أعطوه فأعطوه ثلاثة آلاف درهم"[84].

وفي مجال الحكم والقضاء "كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده:

إنا إذا مالت دواعي الهوى ...وأنصت السّامعُ للقائل

واصْطرعَ القومُ بألبابهم نقضي بحُكْمٍ عادل فاصل

لا نجعلُ الباطل حقّاً ولا ... نُلِظُّ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفَه أحلامُنا فَنُحْملَ الدّهرَ مع الخامل

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين"[85].

2. المعيار القيمي

تشكل القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية موجهات مهمة تنبثق منها استجابات عبد الملك بن مروان، وتتشكل منها تفاعلاته إزاء النص الشعري قبولاً ورفضاً. فلا غرو أن يغدو الدين معياراً نقدياً بارزاً عنده، فنجده تارة يدفع جمهرة الشعراء إلى المديح بقيم الإسلام ومعاني العقيدة؛ حباً منه لذلك، وإدراكاً منه لأهمية هذه القيم عند رعيته من المسلمين، "يحكى أنه قال يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعر ومرة بالبحر الأجاج، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خزيم في بني هاشم؟[86]:

نهاركُمُ مكابدةٌ وصومٌ ... ولَيْلُكُمُ صلاة واقتراء

وَلِيتم بالقُران وبالتزَكّي ... فأَسرع فيكُم ذاك البلاء

بكى نجدٌ غداة غدٍ عليكم ومكةُ والمدينةُ والجِواء

وحقّ لكل أَرض فارقُوها ... عليكم لا أَبا لكمُ البكاء

أَأَجعلكم وأَقواماً سواءً ... وبينكمُ وبينهم الهواء

وهمْ أَرض لأرجُلكم وأَنتم لأرؤسهم وأَعينهم سماء"[87]

وهو بالمقابل يزور عن نقيض هذا النمط من المديح الذي يتجافى مع القيم الدينية والأعراف العربية، فعندما "أنشده عبيد الله بن قيس الرقيات قوله[88]:

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

قال تمدحني بما يُمدح به الأعاجم، وتقول في مصعب بن الزبير[89]:

إنما مصعبٌ شهابٌ من الـ له تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوةٍ ليس فيـ ـه جبروتٌ ولا به كبرياء

يتقي الله في الأمور وقد أفـ ـلح من كان همه الاتقاء"[90]

– ومن الوجهة التربوية الخلقية كان يؤثر شعر كثير عزة ويقربه إليه، مع علمه بتشيعه، ويوصي معلم أولاده بتأديبهم بشعر الأعشى، على رغم جاهليته وسوء سلوكه؛ لأن في شعر كليهما إرشاداً إلى مكارم الأخلاق، ونهياً عن مساوئها، قال لمؤدب أولاده: "أدبهم برواية شعر الأعشى، فإن لها عذوبة تدلهم على محاسن الأخلاق، قاتله الله ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره".[91] وبعض الأغراض خير من بعض عند عبد الملك، ذاك أنه يقيم وزناً كبيراً للشعر الذي يشيع مكارم الأخلاق. والشجاعة إحدى الخلال الطيبة التي يلتمسها فيما يعجبه من الفخر، ومن هنا "كان كثيراً ما يتمثل بأبيات شبيب بن البرصاء في بذل النفس عند اللقاء، ومنها:

دَعَاني حصن للفرار فساءني ... مَوَاطِن أَن يثنى عَلَيْهَا فَأَسْلمَا

فَقلت حُصَيْن نج نَفسك إِنَّمَا يذود الْفَتى عَن حَوْضه إِن يهدما

تَأَخَّرت أستبقي الْحَيَاة فَلم أجد ... لنَفْسي حَيَاة مثل أَن أتقدما

سيكفيك أَطْرَاف الأسنة فَارس ... إِذا ريع نَادَى بالجواد وألجما

إِذا الْمَرْء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينا بالفتى أَن تجذما"[92]

– ومن الناحية الاجتماعية كان يعجبه الشعر الذي يُلحِم لبنات المجتمع، وينفي أسباب الفرقة وعوامل الشقاق،"قال يوما وعنده عدة من أهل بيته وولده: ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به، فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك أشعرهم والله الذي يقول[93]:

وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ ... بِحِلْمِيَ عنهُ وَهْوَ ليس له حِلْمُ

يُحاوِلُ رَغْمِي لا يُحاول غيرَه ... وكالموتِ عندي أن يعر به الرغمُ

إذَا سُمْتهُ وَصْلَ القَرَابِةِ سامَني ... قَطِيعتَها تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ

ويسْعَى إذا أَبْنِي ليهْدِمَ صالحي وليس الذي يَبْنِي كمَنْ شأنُه الهَدْمُ

فما زِلْتُ في لِيني له وتَعَطُّفي ... عليه كما تحنُو على الوَلَدِ الأمُّ

لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى استَلَلته وقد كان ذَا حقد يَضِيقُ به الجِرْمُ

قالوا ومن قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال معن بن أوس المزني"[94].

ولما "أنشده الأخطل قوله[95]:

بَكَر العواذِل يبتدِرْن ملامتي ... والعاذِلون فكلّهم يَلْحَاني

في أن سبقتُ بشربة مَقَدِيَّةٍ ... صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماءِ شُنانِ

فقال له عبد الملك: شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول:

وإني لسهلُ الوجه يُعرَف مجلسي ... إذا أحزنَ القاذورةُ المتَعَبِّسُ

يضيء سَنَا جودي لمن يبتغي القِرَى وليلُ بخيلِ القوم ظَلماءُ حِندِسُ

ألينُ لذي القُربى مِراراً وتلتوي ... بأعناقِ أعدائي حبالٌ تَمَرَّسُ"[96]

لعل عبد الملك لمح القيمة الاجتماعية السابقة مضافة إلى قيم أخرى في تفضيله قول شبيب هذا على قول الأخطل السابق. ويروى أن نصيبا دخل على عبد الملك فقال له: أنشدني بعض ما رثيت به أخي(عبد العزيز بن مروان) فأنشده قوله[97]:

عرفتُ وجرّبتُ الأُمورَ فما أَرَى ... كماضٍ تَلاَه الغابرُ المتأخّرِ

ولكنَّ أهلَ الفضل من أهل نِعْمَتِي يمرُّون أَسْلافاً أمامِي وأَغْبُرُ

فإن أَبْكِهِ أُعْذَر وإن أَغلِبِ الأَسَى بصبرٍ فمِثْلي عندما اشتدَّ يَصْبِرُ

وكانت رِكَابِي كلّما جئتُ تَنْتَحِي لديكَ وتُثْنَى بالرِّضَا حين تَصْدُرُ

فقد عَرِيتْ بعدَ ابن لَيْلَى فإنَّما ذُرَاها لمن لاقتْ من الناس مَنْظَرُ

ولو كان حيًّا لم يَزَلْ بدُفُوفِها ... مَرَادٌ لغِرْبَانِ الطريق ومَنْقَرُ

فإن كُنَّ قد نِلْنَ ابنَ لَيْلَى فإنّه ... هو المصطفَى من أهلِه المُتَخَيَّرُ

فلما سمع عبد الملك قوله:

فإن أبكِه أُعْذَرْ وإن أَغلِبِ الأَسَى ... بصبرٍ فمِثلي عندَما اشتدّ يصبِرُ

قال له ويلك أنا كنت أحق بهذه الصفة في أخي منك، فهلا وصفتني بها؟ وجعل يبكي"[98]. وفي إطار إعلاء قيم بذاتها ولو على حساب المألوف الشعري كان عبد الملك "يقول للشعراء تشبهوني مرة بالأسد ومرة بالبازي ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده؟[99]:

بَراك الله حِينَ براكَ بَحْراً ... وفَجَّر مِنْكَ أنهاراً غِزارا

بنوك السابقون إلى المعالي إذا ما أعظمَ الناسُ الخِطارا

كأنَّهُمُ نجومٌ حولَ بَدْر ... دَرارِيٌّ تَكَمَّل فاسْتدَارا

ملوك ينزلون بكلِّ ثَغْرٍ ... إذا ما الهامُ يومَ الرَّوْع طارا

رِزانٌ في الأمور تَرى عليهم من الشَّيخ الشمائلَ والنجارا

نجومٌ يُهتَدَى بهمُ إذا ما أخو الظَّلْمَاء في الغَمَراتِ حارا"[100]

وذات يوم "دخل الأخطل على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، قد امتدحتك فاستمع منّي. فقال عبد الملك: إن كنت إنّما شبهّتني بالصّقر والأسد فلا حاجة لي في مدحتك، وإن كنت قلت كما قالت أختُ بني الشَّريد لأخيها صخر فهات. فقال الأخطل: وما قالت يا أمير المؤمنين؟ قال: هي التي تقول[101]:

فما بلغتْ كفُّ امرئٍ متناوِلٍ ... بها المجد إلا حيثُ ما نلتَ أطولُ

وما بلغَ المهدونَ في القول مدحةً ولو أطنبوا إلاّ الذي فيك أفضلُ

وجارك محفوظٌ منيعٌ بنجوةٍ ... من الضّيَم لا يُبْزَى ولا يتذلّلُ

قال الأخطل: والله لقد أحسنت القول، ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون قولها. فقال: هات فأنشأ يقول[102]:

إذا مُتَّ مات الجودُ وانقطع الندى ... من الناس إلا من قليل مصرَّدِ

ورُدّت أكفُّ السائلين وأمسكوا ... من الدِّين والدنيا بخلْف مجدَّد"[103]

وأحياناً يبرز في موجهات نقد عبد الملك القيمي اتجاه واقعي يرى التزام الشاعر بالمصداقية الخلقية وعدم مجانفة الصواب، من ذلك أنه دخل الشاعر أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء فأنشده قوله فيه[104]:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزلْ ... جِنِيباً لآبائي وأنت جَنِيبُ

فقال له عبد الملك كذبت، ثم أنشده البيت الآخر فقال:

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً ... برأسِك عادِيُّ النِّجادِ رَسُوبُ

فقال له عبد الملك صدقت، وكان أرطاة أفضل من شبيب نفسا، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتا. وأحياناً تبرز الواقعية المتشددة في نقد عبد الملك القيمي على نحو جلي لم يبرز عند غيره، كما هو الشأن مع نصيب حين قال له: "أنشدني فأنشده قصيدته التي يقول فيها متغزلاً[105]:

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضَّجيعُ به ... طَيَّ الحَمَائِلِ لا جَافٍ ولا فَقِرُ

وَذِي رَوَادِفَ لا يُلْفَى الإِزارُ بها ... يُلْوَى ولو كان سبعاً حين يَأْتزِرُ

فقال له عبد الملك: يا نصيب من هذه؟ قال: بنت عم لي نوبية، لو رأيتها ما شربت من يدها الماء، فقال له لو غير هذا قلت لضربت الذي فيه عيناك"[106]: أي لقطعت رأسك. ولا يبعد أن وراء هذا التوجه القيمي دافعاً آخر، فقد كان نصيب في حزب عبد العزيز بن مروان أثناء خلافه مع أخيه عبد الملك الذي حاول عزله من ولاية العهد وتولية ابنه الوليد. ومن المؤثرات المثيرة لإعجاب عبد الملك في الشاعر وشعره صدق عاطفة الشاعر في مدحه، لا رغبة ولا رهبة، من ذلك أنه "غنت جارية عنده بشعر الأقيشر الأسدي[107]:

وقضى اللهُ بالسلامِ وحيّا زَكَرِيّا بنَ طَلّحةَ الفَيَّاضِ

مَعْدِنُ الضَّيْفِ إنْ أناخوا إليه بعد أَيْنِ الطلاحِ الأنقاض

ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذَايا قد براها الكَلاَلُ بعد أياض

زادَه خالدُ ابنُ عمّ أبيه مَنْصِباً كان في العُلاَ ذا انتهاض

فَرْعُ تَيْمٍ من مُرّةَ حَقّاً قد قضَى ذاك لابن طلحةَ قاضي

فقال عبد الملك للجارية: ويحك لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدح لا على طمع ولا فرق، وأشعر الناس الأقيشر"[108].

ويتكرر منه هذا الأمر مما يوحي أنه موجه أصيل عنده، ومعيار أثير لديه، ينبئنا موقفه مع الشاعر ابن المولى الأنصار، وخلاصة ذلك "أن ابن المولى كان يكثر مدح عبد الملك من غير أن يكونا قد التقيا، وكان عبد الملك يسأل عنه، فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه ... فالتفت عبد الملك إليه وابن المولى على نجيب متنكبا قوسا عربية، فقال له عبد الملك ابن المولى؟ قال لبيك يا أمير المؤمنين، قال مرحبا بمن نالنا شكره ولم ينله منا فعل، ثم قال له – وكأنه يريد أن يكافئه– أخبرني عن ليلى التي تقول فيها[109]:

وأبكي فلا لَيْلَى بكَتْ من صَبابةٍ ... إليّ ولا ليلى لذي الوُدّ تَبذِلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأزوجنكها ولئن كانت أمة لأبتاعنها لك بما بلغت، فقال كلا يا أمير المؤمنين، ما كنت لأذكر حرمة حرٍ أبدا ولا أمته، والله يا ليلى إلا قوسي هذه سميتها ليلى لأشبب به؛ وإن الشاعر لا يستطاب إذا لم يتشبب، فقال له عبد الملك ذلك والله أظرف لك"[110]. ويظهر في قوله هذا التوجه القيمي الأخلاقي الديني، فأقام عنده يومه وليلته ينشده ويسامره، ثم أمر له بمال وكسوة.

3. الذوق الفني الشخصي: هذا المعيار أو الموجه ألصق بالنقد، وهو فيه أوغل؛ لانتفاء الدوافع الخارجية، وغياب الجوانب النفعية (البراجماتية). وهو ينبئ على نحو أدق بطبيعة علاقة صاحبه بالنص الشعري، ومستوى إدراكه النقدي، وحظ عبد الملك من هذا كثير، من دلائل ذلك:

– "دخل كثير على عبد الملك، فقال عبد الملك: أأنت كثير عزة؟ قال: نعم. قال: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: يا أمير المؤمنين كلٌ عند محله رحب الفناء شامخ البناء عالي السناء، ثم أنشأ يقول[111]:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مزير

ويعجبك الطرير إذا تراه **فيخلف ظنك الرجل الطرير

بغاث الطير أطولها رقابا ** ولم تطل البزاة ولا الصقور

خشاش الطير أكثرها فراخا ** وأم الصقر مقلات نزور

ضعاف الأسد أكثرها زئيرا ** وأصرمها اللواتي لا تزير

وقد عظم البعير بغير لب ** فلم يستغن بالعظم البعير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى ** فلا عرف لديه ولا نكير

يقوده الصبي بكل أرض وينحره على الترب الصغير**

فما عظم الرجال لهم بفخر **ولكن فخرهم كرم وخير

فقال عبد الملك: لله دره ما أفصح لسانه وأضبط جنانه وأطول عنانه!! والله إني لأظنه كما وصف نفسه"[112]. وعلى نحو مقارب "قال عبد الملك للأخطل وعنده عامر الشعبي: أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أم تحب أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين إلا أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع. قال: وما قال؟ فأنشده قول القطامي في عبد الواحد سليمان[113]:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل ... وإن بليت وإن طالت بك الطيل

ليس الجديد به تبقى بشاشته ... إلا قليلاً ولا ذو خِلة يصل

والعيش لا عيش إلا ما تقر به ... عين ولا حال إلا سوف تنتقل

قد يدرك المتأني بعض حاجته .. وقد يكون مع المستعجل الزلل

حتى أتى على آخرها. فقال عبد الملك: ثكلت القطامي أمه! هذا والله الشعر".[114] ومن الصور التي يبرز فيها أثر الذوق الشخصي في النقد عند عبد الملك: المفاضلة بين أقوال الشعراء في المعنى الواحد أو المعاني المتقاربة. وللمعيار النقدي المحَكَّم في مثل هذه الحال هو (إصابة المعنى) وفاقا للمبدأ البلاغي المعروف: لكل مقام مقال، من ذلك "أنه لما أُنشد قول كثير فيه[115]:

فما تركوها عَنْوةً عن مودَّةٍ ... ولكن بحَدِّ المَشْرَفِيّ استقالَها

أعجب به عبد الملك، فقال له الأخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه. قال: وما قلت؟ قال قلت[116]:

أَهَلُّوا من الشهر الحَرَامِ فأصبحوا ... مَوالِيَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلته لك حقا، وجعلك أخذته غصبا، قال صدقت"[117]. وفي هذا الشأن أيضاً أنه "دخل كثير على عبد الملك فأنشده مدحة، وفيها[118]:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذالها

يَؤودُ ضَعيفَ القوْمِ حَمْلُ قَتِيرِها ويسْتَصْلِعُ الطِّرْفُ الأَشمُّ احْتِمالها(119)

فقال عبد الملك: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معد يكرب؟(120):

وإذا تكون كتِيبةٌ ملْمومةٌ ... خَرْساءُ تغشي من ينال نِهَالَهَا

كُنْتَ المقدَّم غيْرَ لابِس جُنَّةٍ ... بالسَّيْف تَضرِبُ مُعْلِماً أَبْطالَهَا

وعَلِمتَ أَنّ النَّفْس تَلْقَى حَتْفَها ما كان خالِقُها المَلِيكُ قَضَى لها

فقال: يا أَمير المؤمنين، وصَفْتُك بالحَزْم، ووَصفَ الأَعشى صاحبه بالخُرْق، فقال عبدُ الملك: بل وَصَفَ صاحِبَه بالشجاعة والإقدام، ووَصفْتَني بالجُبْن والإحجام" (121). فلم يستطع الشاعر هنا أن يغير قناعة عبد الملك، كما حصل من الأخطل في الشاهد السابق. ويظهر أن استقصاء المديح مع إيجاز العبارة مما كان ينسجم مع ذوق عبد الملك، ويستولي على إعجابه، "دخل جرثومة الشاعر على عبد الملك بن مروان، فأنشده والأخطلُ حاضر، فلما بلغ إلى قوله:

إليك أميرَ المؤمنينَ بعثتُها ... وكلّفتُها خرقاً من الأَرض بلقعا

فما تجدُ الحاجاتُ دونَك منتهىً سواكَ ولا تلقَى وراءَك مطلعا

قال عبد الملك للأخطل: هذا المدحُ ويلك يا ابن النَّصرانية"(122). وكذلك هو الأمر في استقصاء المعنى وبلوغ الغاية في المبالغة، في حدود الذوق العربي السليم، كل ذلك يستميل إعجاب عبد الملك، ويحوز رضاه الفني، يروى على أكثر من نحوٍ أن عبد الملك "بعث إلى عمر بن أبي ربيعة القرشي وإلى جميل بن معمر العذري وإلى كثير عزة، وبعث إلي ناقة فأوقرها دراهم ودنانير، ثم قال لينشدني كل واحد منكم ثلاثة أبيات، فأيكم كان أغزل شعرا فله الناقة وما عليها، فقال عمر بن أبي ربيعة(123):

فيا ليت أني حين تدنو منيتي * شممت الذي ما بين عينيك والفم

وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم

وليت سليمى في المنام ضجيعتي * لدى الجنة الخضراء أو في جنهم

وقال جميل أنا الذي أقول(124):

حلفت لها بالبدن تدمى نحورها * لقد شقيت نفسي بكم وعنيت

حلفت يمينا يا بثينة صادقا * فإن كنت فيها كاذبا فعميت

ولو أن داع منك يدعو جنازتي * وكنت على أيدي الرجال حييت

وقال كثير أنا الذي أقول(125):

بأبي وأمي أنت من مظلومة * طبن العدو بها فغير حالها

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضي لها

وسعى إلي بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نعالها

فقال عبد الملك: خذ الناقة وما عليها يا صاحب جهنم"[126]. وعبد الملك صاحب ذوق عربي أصيل يعشق السلاسة، وتشمئز الحاسة النقدية عنده من التكلف والحشو، من ذلك أنه لما "سمع قول دريد بن الصمة[127]:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال عبد الملك: لولا القافية لبلغ به آدم"[128]. ويدرك عبد الملك أسرار القول الشعري، ويمايز بين خصائص الفنون والأقوال، لما "أنشده الراعي النميري قوله[129]:

أولي أمر الله إنَّا معشرٌ حنفاءُ نسجدُ بكرة وأصيلا

عربٌ نرى الله في أموالنا حقَّ الزكاة منزَّلاً تنزيلا

قال عبد الملك: ليس هذا شعرا، هذا شرح إسلام، وقراءة آية"[130]. فهو لا يقبل أن يطغى جانب على جانب. ولم يكن ارتكاز الذوق الفني عند عبد الملك محصوراً على إصابة المعنى، ولا دقة التعبير، ولا استقصاء الصورة، بل كان للجانب الموسيقي تأثير عليه وحضور لديه، لما "أنشده عبيد الله بن قيس الرقيات قوله[131]:

إنَّ الحَوَادثَ بالمَدينَة قَدْ ... أَوْجَعْنَني وقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ

وجَبَبْنَنى جَبَّ السِّنام ولم ... يَتْرُكْنَ رِيشاً في مَناكِبِيَهْ

فقال له: أحسنت يا بن قيس لولا أنك خشت في قوافيه"[132]. وهو في هذا دقيق الرأي، شامل النظر، فلم يلهه سمو المعنى، ولا استبد به جمال التصوير عن استيفاء جمال الموسيقى. ولعبد الملك قدرة عميقة، ونظرة دقيقة في إدراك فروق القول الشعري، واستكناه دقة مناسبة التصوير للمعنى المتوخى، قالوا: إنه "ذكر الشعر يوماً، فقال: لو كان قول كثيّر بن عبد الرحمن[133]:

فقلتُ لها يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنتْ يوماً لها النَّفسُ ذلَّتِ

في الحرب، لكان أشعر الناس. وقال: لو أن بيت القطامي[134]:

يمشينَ رهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصّدور على الأعجاز تتّكل

في وصف النساء لكان أشعر الناس"[135]. ولدقة التصوير وجدته وروعته سيطرة كبيرة على مكامن الإحساس عند عبد الملك، تجعله يصدر حكماً بصيغة فائقة الغرابة في بنائها ودلالتها، حتى لو كان الموضوع الشعري غير محبذ لديه كوصف الخمرة مثلاً، من ذلك أنه "دخل الأخطل على عبد الملك وعنده الشعبي، فلما رآه عبد الملك قال: يا شعبي (ناك) الأخطل أمهات الشعراء جميعا، فقال له الشعبي بأي شيء يا أمير المؤمنين؟ قال حين يقول[136]:

وتظلُّ تَنْصُفُنا بها قَرَوِيَّةٌ ... إبريقُها برقاعِه ملثومُ

وإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجَاجَها نَفَحتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ"[137]

– ويظهر أن عبد الملك كان قوي التركيز عند سماعه للشعر، يستغرق الشعر حواسه وأحاسيسه، ويعطيه حقه من الاهتمام والانتباه؛ لذا لم تكن تفوته سقطات الشعراء، بل حتى هفواتهم الصغيرة غير المقصودة؛ نتج عن هذا أنه: قل أن سلم منه شاعر، وشأنه هذا كثير، من ذلك: أنه "دخل جرير بن عطية عليه بعد ما منعه من الدخول عليه كراهة فيه وفي شعره؛ لأن جريراً كان زبيري الهوى فأنشده[138]:

أتصحو أم فؤادك غير صاحي ... عشية همّ قومك بالرواح

فقال له بل فؤادك يا ابن اللخناء فحصر جرير وخرج خائباً"[139]. وقيل إنه "دخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان، فقال له: من أشعر أهل زماننا؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: ثم من؟ قال: غلام منّا بالبادية يقال له ذو الرمة. قال: ثم دخل عليه جرير بعد ذلك فقال له: من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: ثم من؟ قال: غلام منا بالبادية يقال له ذو الرمة. فأحبّ عبد الملك أن يراه لقولهما، فوجّه إليه فجيء به، فقال: أنشدني أجود شعرك فأنشده قوله[140]:

ما بال عينك منها الماء ينسكب ... كأنه من كلى مفريّة سرب

وكانت عينا عبد الملك تسيلان ماء، قال: فغضب عليه ونحّاه. فقيل له: ويحك! إنما دهاك عنده قولك:

ما بال عينك منها الماء ينسكب ...

فاقلب كلامك، فصبر حتى دخل الثانية، فأنشد:

ما بال عيني منها الماء ينسكب ... حتى أتى على آخرها، فأجازه وأكرمه"[141]. ولما أنشده شاعره الأثير الأخطل "قصيدته التي أولها[142]:

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا

قال له عند ذلك: لا، بل منك، وتطير من قوله"[143]

نتائج البحث:

توصلنا في نهاية هذا البحث إلى نتائج أهمها:

1. كان لعبد الملك بن مروان خصوصية في تقديره للأدب وللكلمة الجميلة، واهتمامه بفصاحة خطبه، وجودة الإيصال ومراعاة شأن المتلقين.
2. بالرغم مما عرف عن عبد الملك من الحزم، إلا أنا لمسنا حبه للشعر، تمثل ذلك في: تقديره للشعراء وتغاضيه عن سقطاتهم، وإقالته عثارهم، واحتماله منهم زلاتهم، وقبوله ظاهر أعذارهم، حتى مع علمه منهم خلاف ما يظهرون.
3. كان عبد الملك متذوقا للشعر، واسع الاطلاع فيه، غزير الحفظ لنصوصه، خبيراً بتاريخ الشعر العربي ومواطنه، حسن المعرفة بالمجودين من أعلامه.
4. مما يعطي لعلاقة عبد الملك بالنص الشعري خصوصية: قوة استجابته له، وسرعة تفاعله معه.

5. كل أو جل ما موصلنا من أحوال عبد الملك مع الشعر والشعراء كان حال خلافته التي استقرت بين(73–86هـ)، ولذلك شأنه وأثره في التخادم بين الشعر والسياسة.

6. تشكل القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية معياراً نقدياً مهماً تنبثق منه استجابات عبد الملك، وتتشكل منه تفاعلاته إزاء النص الشعري قبولاً أو رفضاً.

7. من مرتكزات النقد الذوقي الشخصي عند عبد الملك: إصابة المعنى، ودقة التعبير، واستقصاء الصورة، والجانب الموسيقي.

8. من كل ما سبق نرى أنه تحقق في عبد الملك مؤهلات الناقد، وأنه قام بدور الناقد المتذوق المحترف بحسب طبيعة عصره ومستواه النقدي.

الهوامش

[1]. الزركلي، خير الدين (ت 1396هـ)، 2002م، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 4/ 165.

[2]. نصر، (أبو الوفاء) ابن الشيخ نصر يونس الوفائي،1426 هـ – 2005 م، المطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ، تحقيق وتعليق: طه عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، ص118.

[3].الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، 1424هـ،الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 467/7.

[4].المطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ، ص118.

[5]. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، 1423هـ،، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 279/21.

[6]. بن منقذ، أسامة (ت 584هـ)، 1407 هـ – 1987 م، لباب الآداب، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 228 – 229.

[7]. ابن حمدون، مُحَمَّد بن الحسن (ت 562هـ)، 1417 هـ ، التذكرة الحمدونية ، دار صادر، بيروت، ط1، 259/1.

[8].الأفطسي، ابن هبة الله (ت: بعد 515هـ)، 1425 هـ، المجموع اللفيف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص401.

[9]. أجزهم : أعطهم الجوائز والأعطيات.

[10]. التذكرة الحمدونية، 2/ 110.

[11]. ديوان الأعشى، شرح وتعليق د. مُحَمَّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ص149.

[12] شعر زهير،1400هـ – 1980، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، ص228

[13]. السابق 97/5.

[14]. ديوان الأعشى، ص149.

[15]. القالي، أبو علي (ت: 356هـ) ، 1344 هـ – 1926م، الأمالي عناية مُحَمَّد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط2، 2/ 158.

[16]. ديوان زهير، ص42.

[17]. التبريزي، يحيى بن علي(ت: 502هـ)،شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، 2/ 37.

[18]. سورة الفرقان آية :67.

[19] العسكري أبو هلال (ت نحو 395هـ)، 1408هـ، الأوائل، دار البشير، طنطا، مصر، ط1، ص251.

[20]. الحموي، ياقوت (ت 626هـ)، 1414هـ – 1993م، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 28/1.

[21]. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، 1423هـ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 62/1.

[22]. أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد – بفتح الهمزة – الأموي، من أشراف عصره، ولي خراسان لعبد الملك، واختلف في صحبته للنبيﷺ.

[23]. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى (ت 279هـ)، 1417 هـ – 1996 م، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1 ، 223/7.

[24]. مُحَمَّد بن عبد الله بن نمير الثقفي النميري: شاعر غزل، من شعراء العصر الاموي. مولده ومنشأه ووفاته في الطائف. كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج، وأرق شعره ما قاله فيها. توفي نحو(90هـ). الأعلام، 220/6.

[25]. ابن عساكر(ت 571هـ). 1415هـ – 1995م ، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 54/ 49.

[26]. ديوان جرير بشرح مُحَمَّد بن حبيب، تحقيق، نعمان مُحَمَّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1/ 52،65

[27]. الخطابي، أبو سليمان (ت 388 هـ). 1402هـ – 1982م ، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، 355/1.

[28]. ديوان عدي بن الرقاع عن أبي العباس ثعلب 1407هـ –1987م. تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،ص265.

[29]. ينظر: تاريخ دمشق، 73/ 110.

[30]. الأسد، ناصر الدين.1988م، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط7، ص199. الشَّعف: رؤوس الجبال.

[31]. البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ). 1418هـ – 1997م، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1/ 176.

[32]. معجم الأدباء، 7/1.

[33]. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الهادي، دار المعارف بمصر، ص331.

[34].الأبردان: الغداة والعشي ، أو العصران ، أو الظل والفيء. الأرطى : شجر ينبت بالرمل هو شبه الغضى وثمره كالعناب. الجوزائ : الظباء وبقر الوحش ، سميت بالجوزائ لأنها اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء. عين: واسعة العيون.

[35]. الأصفهاني، أبو الفرج. 1429هـ – 2008م، الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ط3، 127/9.

[36]. شعر عبدة بن الطبيب. 1391هـ – 1971م، يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ص72–73. يعني بالمراجيل المراجل فزاد فيها الياء ضرورة. واعتمدت الديوان في رواية الأبيات، ففيه اختلاف عن رواية معاهد التنصيص.

[37]. العباسي، عبد الرحيم (ت 963هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 103/1.

[38]. ديوان الأقيشر. 1997م، صنعة د. مُحَمَّد علي دقة، دار صادر، بيروت، ط1، ص50.

[39]. الأغاني، 11/ 174.

[40]. ديوان طفيل الغنوي. 1997م، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أدغلي، دار صادر، بيروت، ط1، ص23– 25. البيت: القبة أو الخيمة. سماواته: أعلاه. أسمال: أخلاق بالية. أتحمي: نوع من البرود.

[41]. الأغاني، 341/15.

[42]. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص72.

[43]. ابن منظور(ت 711هـ). 1402 هـ – 1984م، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، وآخران، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 152/91.

[44]. ديوان كثير عزة. 1391هـ – 1971م، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص242

[45]. الأمالي للقالي، 13/1.

[46]. ينظر: ا الزَّبيدي، لمرتضى (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة : حبن ،394/34.

[47]. ديوان أعشى همدان وأخباره. 1403هـ – 1983م، تحقيق حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض، ط1، ص 138.

[48]. ديوان أوس بن حجر. 1399هـ – 1979م، تحقيق مُحَمَّد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ص121.

[49]. الآبي، أبو سعد ت 421هـ). 1424هـ – 2004م، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 49/3.

[50]. ديوان كثير، ص461.

[51]. السابق، 97– 98.

[52]. العاملي، زينب بنت علي بن حسين المتوفاة 1332هـ)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط1، ص344.

[53]. الأغاني، 202/21.

[54]. ينظر: العصامي المكي، عبد الملك (ت 1111هـ). 1419 هـ - 1998م، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُحَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 301/3. وينسب البيت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ابنه سالم، وينسب لغيره.

[55]. العسكري، أبو هلال (ت نحو 395هـ)، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، 120/2.

[56]. ديوان ابن مقبل. 1416هـ - 1995م، تحقيق د. عزة حسن، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سوريا، ص41.

[57].تَرْتَر: استرخى. و(تترتر): تزلزل وتقلقل. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة تأليف إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ص83

[58]. البكري الأندلسي، أبو عبيد (ت: 487هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/ 68. لا تَتَرَتَّرْ: لا تستعجل.

[59]. ديوان الراعي النميري. 1416هـ - 1995م، شرح واضح الصمدي، ط1، ص90.

[60]. الزمخشري، جار الله (توفي 583 هـ). 1412هـ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط، 3/ 189.

[61]. بن الجوزي، أبو الفرج (ت 597هـ). 1982، أخبار النساء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص247.

[62]. القضاعي البلنسي، ابن الأبار (ت 658هـ). 1380هـ - 1961م، إعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، ص253. وقيل إن الأبيات الأولى قالها الشاعر في يزيد بن المهلب، وقيل إن اسم الشاعر الظبي وليس الظني، والله أعلم.

[63]. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق وشرح حسين كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ص43-47. واعتمدت رواية الديوان.

[64]. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت، ص352.

[65]. هذا من شعر زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص169.

[66]. ديوان لبيد، ص 350.

[67]. السابق ص35.

[68]. السابق نفسه.

[69]. ابن قليج، مغلطاي (ت: 762هـ). 1422 هـ - 2001 م، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن مُحَّد - أبو مُحَّد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة، ط1 ، 8/ 346.

[70]. ديوان الراعي ص212.

[71]. ديوان جرير، ص88

[72]. ابن سيده، أبو الحسن (توفي 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2000م، بيروت، 93/1.

[73]. شعر أرطاة بن سهية المري، جمع وتحقيق د. شريف علاونة، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ - 2006م ،ص87- 88.

[74]. ربيع الأبرار 458/2

[75]. الصفدي، صلاح الدين (ت: 764هـ). 1420هـ - 2000م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 83/17.

[76]. لا يغمز: ليس به تعب فيحتاج أن يغمزها. الأين: الإعياء والتعب. الاقتفار: اتباع الأثر في القفر، يقول هو دليل القوم وهاديهم.

[77]. اليزيدي، أبو عبد الله مُحَّد بن العباس (ت 310هـ). 1397هـ - 1938م، أمالي اليزيد، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، ص16.

[78]. ديوان العباس بن مرداس السلمي. 1412هـ - 1991م،، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ص78.

[79]. السابق، ص47-48.

[80]. ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت، دراسة وجمع وتحقيق مُحَّد حسن باجودة، دار التراث، القاهرة، 75- 76.

[81]. شعر الأحوص الأنصاري. 1411هـ 1990م، جمعه وحققه جمال عادل سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ص126-127.

[82]. التذكرة الحمدونية، 111/4- 112.

[83]. شعر اسماعيل بن يسار. 1404هـ - 1984م، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت، ط1، ص30-31.

[84]. تاريخ دمشق، 71/ 332-333.

[85]. البغدادي، عبد القادر (ت: 1093هـ). 1418 هـ - 1997م، خزانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 440/8. والأبيات لربيع بن أبي الحقيق اليهودي النضري.

[86]. ديوان أيمن بن خزيم الأسدي. 1419هـ 1999م، صنعة وتحقيق الطيب العشاش، مؤسسة المواهب، بيروت، ط1، ص23.

[87]. العسكري، أبو هلال (ت: نحو 395هـ)، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت 26/1.

[88].ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات. 1416هـ - 1995م، تحقيق وشرح عزيزة فوال بابتي، دار الجيل، بيروت، ط1، ص73.

[89]. السابق، ص44-45.

[90]. البغدادي، مُحَمَّد بن حبيب (ت 245هـ). 1405هـ - 1985م، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط1 ، ص376.

[91]. القرشي، أبو زيد (ت: 170هـ)، جمهرة أشعر العرب، حققه وضبطه علي مُحَمَّد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص81.

[92]. الأغاني، 202/12، والوافي بالوفيات، 61/16.

[93]. ديوان معن بن أوس المزني. 1977م، صنعة نوري حمودي القيسي، وحاتم الضامن، دار الجاحظ، بغداد، ص40-45.

[94]. القيرواني، الحُصري (ت: 453هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، 3/ 874.

[95]. شعر الأخطل. 1416هـ - 1996م،، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر دمشق ، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4، ص168.

[96]. الأغاني، 12/ 202.

[97]. شعر نصيب بن رباح. 1967م، جمع وتقديم داود سلوم، مطبعة الإرشاد بغداد، ص87- 88.

[98]. السابق 346/1-347.

[99]. الأشقري، كعب بن معدان، حياته وما تبقى من شعره، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مجلة المورد العراقية، ص87.

[100]. الوافي بالوفيات، 24/ 261.

[101]..ديوان الخنساء بشرح ثعلب. 1409هـ 1988م، تحقيق د. أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، ص319-320.

[102]. شعر الأخطل التغلبي، ص527.

[103]. ديوان المعاني، ص27.

[104]. شعر أرطاة بن سهية، ص56.

[105]. شعر نصيب بن رباح، ص90.

[106]. مختصر تاريخ دمشق، 26/ 140.

[107]. ديوان الأقيشر الأسدي، ص89- 90.

[108]. تاريخ دمشق، 69/ 227- 228.

[109]. النجم، مهدي عبد الحسين. 1400هـ، ابن المولى وما بقي من شعره، مجلة البلاغ، العدد(8)، لسنة 1400هـ، ص4.

[110]. الثعالبي، أبو منصور (ت: 429هـ). 1421هـ. 2000م، الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، تحقيق إلهام عبد الوهاب المفتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، ص153.

[111]. في نسبة الأبيات اضطراب شديد: فهناك من ينسبها لكثير، وثمة من ينسبها للعباس بن مرداس، وهناك من ينسبها لربيعة الرقي، وأوردها محقق ديوان كثير- إحسان عباس- من الشعر المنسوب إليه، فعلى هذا يجوز أن يكون كثير قد تمثل بها تمثلاً. وثمة شيء من الاختلاف في رواية بعض الكلمات، لكنا في ضبط الكلمات اعتمدنا ما ورد في ديوان كثير، ص529- 530.

[112]. البري، مُحَمَّد بن أبي بكر (ت: بعد 645هـ). 14043هـ. 1983، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة نقحها وعلق عليها: مُحَمَّد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط1، ص 1/ 331.

113. ديوان القطامي. 1960، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، ص23- 25.

114. شيخو، رزق الله بن يعقوب (ت: 1346هـ). 191م، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 4/ 293.

[115]. ديوان كثير، ص80.

[116]. شعر الأخطل، ص45.

[117]. معاهد التنصيص، 273/1.

[118]. ديوان كثير، ص85.

[119]. دلاص: درع. المسدي: صانعها. أذالها: أطال ذيلها أي جعلها سابغة. يؤود: يثقل. القتير: رؤوس المسامير في الدرع. يستضلع: يثقل أضلاعه. الطرف: الحصان.

120. ديوان الأعشى، ص33.

[121]. الجمحي، ابن سلّام(ت: 232هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، دار المدني، جدة، 542/2.

[122]. العسكري، الحسن (ت: 382هـ). 1984م، المصون في الأدب، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، ص64.

123.شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي. 1371هـ- 1952م، مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد،ط1، ص493.

124. ديوان جميل بثينة. 1402هـ - 1982م، دار بيروت، بيروت، ص97.

125. ديوان كثير عزة، ص394.

126. تاريخ دمشق، 99/45.

[127]. ديوان دريد بن الصمة الجشمي. 1401هـ - 1981م، تحقيق مُحَمَّد خير البقاعي، دار قتيبة، ص27.

[128]. القيرواني، ابن رشيق (ت463هـ). 1401 هـ -1981، العمدة، تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 2/ 82.

[129]. ديوان الراعي النميري، ص206

[130]. المرزباني، أبو عبيد الله بن مُحَمَّد بن موسى (ت: 384هـ)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص207.

[131]. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص220.

[132]. الدينوري، ابن قتيبة (ت: 276هـ). 1423هـ، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 531/1.

[133]. ديوان كثير، ص97.

[134]. ديوان القطامي، ص26.

[135]. المبرد، مُحَمَّد بن يزيد(ت: 285هـ). 1417 هـ - 1997م، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 256/1

[136]. شعر الأخطل، ص272.

[137]. معاهد التنصيص، 200/1.

[138]. ديوان جرير، ص87.

139. الوطواط، أبو إسحق (ت: 718هـ). 1429هـ - 2008م، غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص147.

140. ديوان ذي الرمة، 1427هـ- 2006م، عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، ص11.

[141]. الموشح في مآخذ الشعراء على العلماء، ص305.

142.شعر الأخطل، ص144.

[143]. ابن الأثير (ت 637هـ). 1420هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 225/2

قائمة المراجع

القرآن الكريم.

1. . التبريزي، يحيى بن علي(ت: 502هـ)،شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، 2/ 37.
2. بن الأثير (ت 637هـ). 1420هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
3. ابن الجوزي، أبو الفرج (ت 597هـ). 1982، أخبار النساء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
4. ابن حمدون، مُحَمَّد بن الحسن (ت 562هـ)، 1417 هـ ، التذكرة الحمدونية ، دار صادر، بيروت، ط1.
5. ابن سيده، أبو الحسن (توفي 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2000م، بيروت.
6. ابن عساكر(ت 571هـ). 1415هـ – 1995م ، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،. ديوان جرير بشرح مُحَمَّد بن حبيب، تحقيق، نعمان مُحَمَّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3.
7. ابن قليج، مغلطاي (ت: 762هـ). 1422 هـ – 2001 م، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن مُحَمَّد – أبو مُحَمَّد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة، ط1.
8. ابن منظور(ت 711هـ). 1402 هـ – 1984م، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، وآخران، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1.
9. ابن منقذ، أسامة (ت 584هـ)، 1407 هـ – 1987 م، لباب الآداب، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2.
10. الآبي، أبو سعد ت 421هـ). 1424هـ – 2004م، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
11. الأسد، ناصر الدين.1988م، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط7.
12. الأشقري، كعب بن معدان، حياته وما تبقى من شعره، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مجلة المورد العراقية.
13. الأصفهاني، أبو الفرج. 1429هـ – 2008م، الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ط3.
14. الأفطسي، ابن هبة الله (ت: بعد 515هـ)، 1425 هـ، المجموع اللفيف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
15. البري، مُحَمَّد بن أبي بكر (ت: بعد 645هـ). 14043هـ. 1983، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة نقحها وعلق عليها: مُحَمَّد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط1.
16. البغدادي، عبد القادر (ت: 1093هـ). 1418 هـ – 1997م، خزانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4.
17. البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ). 1418هـ – 1997م، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4.
18. البغدادي، مُحَمَّد بن حبيب (ت 245هـ). 1405هـ – 1985م، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط1.
19. البكري الأندلسي، أبو عبيد (ت: 487هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.
20. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى (ت 279هـ)، 1417 هـ – 1996 م، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1.
21. الثعالبي، أبو منصور (ت: 429هـ). 1421هـ. 2000م، الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، تحقيق إلهام عبد الوهاب المفتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1.
22. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، 1424هـ،الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.

23. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، 1423هـ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
24. الجمحي، ابن سلّام(ت: 232هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، دار المدني، جدة.
25. الحموي، ياقوت (ت 626هـ)، 1414هـ – 1993م، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
26. الخطابي، أبو سليمان (ت 388 هـ). 1402هـ – 1982م ، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق.
27. الدينوري، ابن قتيبة (ت: 276هـ). 1423هـ، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة.
28. ديوان ابن مقبل. 1416هـ – 1995م، تحقيق د. عزة حسن، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سوريا.
29. ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت، دراسة وجمع وتحقيق مُحَمَّد حسن باجودة، دار التراث، القاهرة.
30. ديوان أعشى همدان وأخباره. 1403هـ – 1983م، تحقيق حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض، ط1.
31. ديوان الأعشى، شرح وتعليق د. مُحَمَّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة.
32. ديوان الأقيشر. 1997م، صنعة د. مُحَمَّد علي دقة، دار صادر، بيروت، ط1.
33. ديوان الخنساء بشرح ثعلب. 1409هـ 1988م، تحقيق د. أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، الأردن، ط1.
34. ديوان الراعي النميري. 1416هـ – 1995م، شرح واضح الصمدي، ط1.
35. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الهادي، دار المعارف بمصر.
36. ديوان العباس بن مرداس السلمي. 1412هـ – 1991م،، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
37. ديوان القطامي. 1960، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1.
38. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2.
39. ديوان أوس بن حجر. 1399هـ – 1979م، تحقيق مُحَمَّد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.
40. ديوان أيمن بن خزيم الأسدي. 1419هـ 1999م، صنعة وتحقيق الطيب العشاش، مؤسسة المواهب، بيروت، ط1.
41. ديوان جميل بثينة. 1402هـ – 1982م، دار بيروت، بيروت.
42. ديوان دريد بن الصمة الجشمي. 1401هـ – 1981م، تحقيق مُحَمَّد خير البقاعي، دار قتيبة.
43. ديوان ذي الرمة، 1427هـ– 2006م، عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1.
44. ديوان طفيل الغنوي. 1997م، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أدغلي، دار صادر، بيروت، ط1.
45. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات. 1416هـ – 1995م، تحقيق وشرح عزيزة فوال بابتي، دار الجيل، بيروت، ط1.
46. ديوان عدي بن الرقاع عن أبي العباس ثعلب. 1407هـ –1987م. تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
47. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق وشرح حسين كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية.
48. ديوان كثير عزة. 1391هـ – 1971م، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
49. ديوان معن بن أوس المزني. 1977م، صنعة نوري حمودي القيسي، وحاتم الضامن، دار الجاحظ، بغداد.
50. الزَّبيدي، لمرتضى (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت.
51. الزركلي، خير الدين (ت 1396هـ)، 2002م، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15.
52. الزمخشري، جار الله (توفي 583 هـ). 1412هـ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط.
53. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي. 1371هـ– 1952م، مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد،ط1، ص493.
54. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت.

55. شعر أرطاة بن سهية المري. 1427هـ - 2006م، جمع وتحقيق د. شريف علاونة، عمان، الأردن، ط1.
56. شعر اسماعيل بن يسار. 1404هـ - 1984م، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت، ط1.
57. شعر الأحوص الأنصاري. 1411هـ 1990م، جمعه وحققه جمال عادل سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ص126-127.
58. شعر الأخطل. 1416هـ - 1996م،، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر دمشق ، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4.
59. شعر زهير،1400هـ - 1980، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3.
60. شعر عبدة بن الطبيب. 1391هـ - 1971م، يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد.
61. شعر نصيب بن رباح. 1967م، جمع وتقديم داود سلوم، مطبعة الإرشاد بغداد.
62. شيخو، رزق الله بن يعقوب (ت: 1346هـ). 191م، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
63. الصفدي، صلاح الدين (ت: 764هـ). 1420هـ - 2000م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.
64. العاملي، زينب بنت علي بن حسين المتوفاة 1332هـ)، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط1.
65. العباسي، عبد الرحيم (ت 963هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
66. العسكري أبو هلال (ت نحو 395هـ)، 1408هـ، الأوائل، دار البشير، طنطا، مصر، ط1.
67. العسكري، أبو هلال (ت نحو 395هـ)، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت.
68. العسكري، أبو هلال (ت: نحو 395هـ)، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت.
69. العسكري، الحسن (ت: 382هـ). 1984م، المصون في الأدب، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2.
70. العصامي المكي، عبد الملك (ت 1111هـ). 1419 هـ - 1998م، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
71. القالي، أبو علي (ت: 356هـ) ، 1344 هـ - 1926م، الأمالي عناية مُحَمَّد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط2.
72. القرشي، أبو زيد (ت: 170هـ)، جمهرة أشعر العرب، حققه وضبطه علي مُحَمَّد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
73. القضاعي البلنسي، ابن الأبار (ت 658هـ). 1380هـ - 1961م، إعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1.
74. القيرواني، ابن رشيق (ت463هـ). 1401 هـ -1981، العمدة، تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5.
75. القيرواني، الحُصري (ت: 453هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
76. المبرد، مُحَمَّد بن يزيد(ت: 285هـ). 1417 هـ - 1997م، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3.
77. المرزباني، أبو عبيد الله بن مُحَمَّد بن موسى (ت: 384هـ)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء.
78. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة تأليف إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
79. النجم، مهدي عبد الحسين. 1400هـ، ابن المولى وما بقي من شعره، مجلة البلاغ، العدد(8).
80. نصر، (أبو الوفاء) ابن الشيخ نصر يونس الوفائي،1426 هـ - 2005 م، المطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ، تحقيق وتعليق: طه عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط1.
81. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، 1423هـ،، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1.

82. الوطواط، أبو إسحق (ت: 718هـ). 1429هـ – 2008م، غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
83. اليزيدي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن العباس (ت 310هـ). 1397هـ – 1938م، أمالي اليزيد، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1.